

التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

على الرغم من انتشار الحضارة في مدن الغرب والشرق وتأصل المدنية والمعرفة فيهما منذ عشرات السنين فلا يزال الكثيرون في بعض مناحي تفكيرهم واعتقاداتهم مقيدين باغلال خرافية يؤمنون بالتفاؤل والتشاؤم على نفس النمط الذي كان يعتقد به من عاشوا في عصور ما قبل التاريخ وبعده .

ما أعجب هذا الانسان ...! خضعت له عناصر الطبيعة وطأنت من كبرياتها امام جبروته ، ودفع بسفينة الى المحيطات النائرة تشق عابها آمنة لا تهاب غدرها ، وبعمقه الجبار دانت له العلوم وتفتحت الاسرار ، ومع ذلك ما زال هذا الانسان على ما بلغ من سيادة ومدنية وحضارة وثقافة يستمسك ببعض الاوهام الخرافية التي استمسك بها اسلافه وفكأنوا اقل منه حضارة وتعلما واستنارة ، وسيظل عبدا لما مهما قرأ وتوقف .

إن الحضارة لن تقضى على الخرافات مطلقا ، وكل ما هنالك ان الناس يستبدلون خرافة بخرافة تحت ضغط المدنية ، ولكن الاساس واحد والاصل لا يتغير .

من العجب ان الغربيين يعتقدون ان الشرق مهد الخرافة ، وان اهلهم اكثر الشعوب تعلقا بالخرافات وايمانا بها ، ويعزون هذا التعلق وذاك الايمان الى ان هؤلاء لا يزالون في ضلالات الجهل ومعنى ذلك ان الغرب بما وصل اليه من الحضارة ورقى العلم والادب قد تجرد عن مثل هذه الاوهام ، ولكن الواقع غير ذلك فزال قوم منهم من ارق الطبقات يعتقدون احط الخرافات التي لا تقوم على اساس على .

ولئن صدق هؤلاء المتقولون وانتحلوا للشرقيين عذرا من الجهل فاذا يقولون عن انفسهم وهم الذين يدعون سيادة الشرق استنارة وحضارة ...!

قد ساءت ادارة احدى كليات المعلمين لمقاطعة ، ونكونسن ، الامريكية ٤٨٨ طالبا ان يذكروا الخرافات التي يعرفونها والتي سمعوها ، فاجمت ردود الطلبة على خرافات بلغت زهاء ١٢٢٥ خرافة .

وهناك في الغرب طائفة من الكتيب بمختلف اللغات مقصورة على البحث في الخرافات والمعتقدات المختلفة .

يقول الدكتور كلارك ويلر وهو من العلماء العاملين في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك : « يظهر أن المدنية وقد درجت وتطورت من مهد الجهالة لا زالت ذات صلة بطريقة التفكير التي تسيطر على العقول البدوية في الجاهلية الأولى ، فالسحر والخرافات يلعبان الى الآن دورا كبيرا في الحياة المصرية . »

ويقول أحد علماء النفس من الفرنسيين : « ان الخرافات لم تنج منها أمة في الزمن الغابر ولا في العصر الحاضر ، وإن تأصل عادة التفاؤل والتشاؤم أو قلة ظهورها لا علاقة لها بحالة الشعوب وبلغ رقيها وتقدمها في الحضارة . »

وجه الدكتور ا . باودن مدير كلية المعلمين بولاية مكسيكو الجديدة بالولايات المتحدة وأحد كبار علماء النفس الامريكيين سؤالا الى جمهرة من الناس ولقيف من المعلمين هذا نصه :

أ إذا كنت ذا تعلم جيد وصحة طيبة تشتغل بمجد وضميرك مرتاح ...! أظن أن هناك قوة تحميك عن سوى الصراط وتميل بك قسرا الى تغيير سبيلك المرسوم ...؟

فكانت اجابة ٦٦ في المائة من تلك الجمهرة من الناس : نعم ، و ٦٢ في المائة من المعلمين .

فزهاء ثلثي الامريكيين تقريبا من المعلمين يؤمنون بالتفاؤل والتشاؤم .

ان للبيئة والاقليم والدين شيئا من التأثير في الطباع وفي الاجسام ، ولكن التأثير الاعظم للورثة .

للخرافات الشائعة اصول تتفق وعقيلة الانسان الاول ، وسيلنا الى فهمها ان نعرف احوال المتوحشين الآن وعقائدهم وكيفية تعليمهم للاشياء والحوادث ، لان المشابهة تكاد تكون تامة بين المتوحش الذي يعيش الآن في اواسط افريقيا واستراليا ، وبين الانسان الاول ، بل يمكننا ان نقول ان المتوحشين هم اسلافنا المعاصرون الآن .

ان معظم الخرافات التي يرجع الى التفاؤل والتشاؤم ليست كلها ناشئة عن اسباب تاريخية وحوادث وقعت في الازمنة الماضية ، فكم من خرافات عاشت دهورا بلا سبب ، ويرجع هذا الى ما جبل عليه الانسان من سرعة تصديقه كل ما يسمعه .

لا تجد أمة تخلو من اعتقادات خرافية راسخة في عقول اهلها ولكن بعض الخرافات تكاد تكون شائعة بين معظم الشعوب ،

وقد جمعنا في هذا المقال من اوثق المصادر طائفة من الخرافات الكثيرة الشيوع مع تحليل اصلها وفقا لآراء الباحثين .

البوم

اول مايلفت النظر من الخرافات هو البوم ، فعظم الناس يتشاءمون منه ، ويقولون ان رؤيته تجلب المصائب وتجر النوائب ، فهو طائر الشؤم وناعي الخراب ، وارا الاوربيين يتشاءمون من صوت البوم ويظلمون منه ايضا . فالمشهور عنه انه يتخذ الاماكن الخربة المهجورة والمحال المظلمة مأوى له ، ولذلك قرنت في ذهن الانسان صورة الخراب مع البوم ، ومن هنا نشأ التشاؤم ، وهو يقيم في الاماكن الخربة لئلا كل مايجده من الفيران والجردان والحشرات والبعوض وغيرها .

ان البوم غالبا يعيش في أجواف الاشجار ، ولكن بعضها يعيش بين الصخور وعلى الرمال وفي البيوت الخربة ومن ذلك قول بعضهم :

ياقصر جمع فيك الشؤم واللوم متى يعيش في اركانك البوم
ومن انواع البوم الهامة Barn or white owl وهي مشهورة في قصص العرب ؛ والصدى Little owl وهو الوارد في قول توبة :

ولوان لى الاخيلية لست على ودوني جندل وصفائح
لست تسليم الباشاة أو زقا اليها صدى من جانب القبر صائح
وقد جاء في كتاب سراج الملوك ان عبد الملك بن مروان ارق ليلة فاستدعى سيرا له يحدثه ، فكان فيما حدثه به ان قال يا امير المؤمنين « كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة ، غطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها ، فقالت بومة البصرة : لا افعل حتى تجعللى صداقها مائة ضعة خراب ، فقالت بومة الموصل : لا اقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك . »

الغراب

ومن الخرافات الشائعة التشاؤم من الغراب ، ويعرف في الشام بالزواغ والفاق ، وفي العراق بالزواغ والغراب .

وكان الرومانيون يقولون : اذا طار الغراب عن يسار انسان انبا بالشر وطلبه عليه . وانه يسبق المقاتلين الى ساحة الوغى ينتظر وقوع القتلى . واذا طار فوق بيت فلا بد من ان يموت واحد قتيه . واذا وقع به اذى انتقم من آذاه ولو بعد موته . وكثيرون من الانجليز

يعتقدون ان نجاحهم في الدنيا تنج عن حمايتهم لغراب عشرين بستانهم ، وانه اذا قتل قصدا فلا بد من ان يموت واحد من الاسرة على أثر ذلك . ويقول امالي اسوج ان الغراب التي تنعق في المستنقعات ليلامى ارواح القتلى الذين قتلوا غيلة ، ولذلك حى الغراب من الاذى في كثير من البلدان الشمالية .

وكان العرب يتشاءمون من الغراب ، قال ابو الفرج المعافى ابن زكريا في كتاب الجليس والانيس : « كنا يجلس في حضرة القاضي ابى الحسن جثنا على العادة فجلسنا عند بابيه واذا اعرابى جالس كانت له حاجة فوقع غراب على نخلة في الدار فتعب ثم طار ، فقال الاعرابى : ان هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام ، قال فزجرناه فقام وانصرف ثم خرج الاذن من القاضي اليها ، فدخلنا فوجدناه متغير اللون مغتبا ، فقلنا له ما الخبر ؟ قال رأيت البارحة في النوم شيخا يقول
مازل آل عباد بن زيد على اهلك والنعم السلام
وقد ضاق صدرى لذلك . فدعونا له وانصرفنا ، فلما كان في اليوم السابع من ذلك اليوم دفن ،

قال القاضي ابو الطيب الطبرى : سمعت هذه الحكاية من لفظ شيخنا ابى الفرج المذكور .

وقال يعقوب بن السكيت : « كان أمية بن ابى الصلت وهو شاعر مسيحي مشهور من فحول شعراء الجاهلية ، في بعض الايام يشرب ، فجاء غراب فتعجب نعبه ، فقال له أمية : فيك التراب ا ثم نعب أخرى فقال له أمية : فيك التراب ا ثم أقبل على أصحابه وقال : اندرون ما يقول هذا الغراب ؟ زعم انى اشرب هذه الكأس فأموت ، وأمارة ذلك انه يذهب الى هذا الكوم فيتلع عظما فيموت . قال فذهب الغراب الى الكوم فابتلع عظما فأت ، ثم شرب أمية الكأس فأت من جنة . » وهذه الحكاية من افايص العرب .

والتشاؤم من الغراب ربما يرجع الى سواده ، والسواد رمز للحزن حتى ان العرب يسمون السود منهم « أغربة العرب ، مثل عترة وغيره » ويقول محيط المحيط : « ان الحاتم أى الغراب الاسود سمي كذلك لانه يحتم بالفراق في اعتقاد العياقة ، وزاد على ذلك قوله : ان الغراب سمي غراب البين . لانه اذا بان أهل الدار للجمعة وقع في موضع يوتهم فتشاءموا به وتظلموا منه ، فقالوا في المثل (شأم من الغراب اذ كان لا ينزل منازلهم الا اذا بانوا) أى بعدوا عنها . » وربما يرجع ايضا الى علاقة لفظية بين اسمه وبين

فلسفة ديكرت

للاستاذ زكي نجيب محمود

تمهيد

وثبت الفلاسفة في عهد الاغريق وثبة جريئة، كانت من غير شك شذوذا نابيا لا يستقيم مع طفولة العقل عندئذ، ولا يتفق مع سير الانسانية الوئيد المتشقر. وما طنك بثلاثة من قادة الفكر وافذاهم البارزين، الذين لا تزال فلسفتهم الى هذا اليوم موضوعا للبحث والدرس، وأغلب الظن أنها ستظل موضوعا للبحث والدرس الى غد وبعد غد! ماضيك بهؤلاء الجبابرة يشرون تلك الفلسفة العالية وذلك الذكر الرفيع في أوساط من الناس يستحيل على عقولهم الفجة الساذجة أن تتسع لأشباحها، أو قل لاتدرك من عشر معشارها! ماضيك بسقراط وأفلاطون وأرسطو، أولئك العباقرة الفحول يتجون هذه الفلسفة في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح، أي منذ خمسة وعشرين قرنا!

لم تسغها العقول وقتئذ، اذ لم تقو على هضمها وتمثيلها، فكان طبعيا أن يكون نصيبها الطي والاهمال، حيث استقرت في بطون أسفارها قرونا وقرونا، تنتظر العقل الناضج الرشيد، تنتظر هذه الانسانية المتلكئة في سيرها حتى تسمو وترتفع الى حيث هي، وعندئذ تستطيع أن تشر صفحاتها المطوية وتخرج الى شمس كنزها الدفين

ولكنها وقتئذ تنتظر حيناً طويلاً من الدهر حتى ستمت الانتظار! وحتى لها أن تمل وتسام، قد أقبل الناس على عصر بل عصور، اصطلاح المؤرخون على أن يطلقوا عليها اسم العصور الوسطى كانت مظلمة شديدة الظلام، تنحيط في ديجور من الجهل، لا يكاد ينفذ فيه قبس واحد من نور، كما نأصاب الدهر سنة من النوم أو اغفاءة من السهو، فبدل في مواضع الازمان، حيث قدم ما كان يجب أن يؤخر، وآخر ما يجب أن يقدم!! في تلك العصور سيطرت الكنيسة على العقول الى أقصى حدود السيطرة، وحرمت على الناس كل ضرب من ضروب التفكير الحر الطليق، كما حظرت عليهم كل دراسة لاتمت الى الدين بسبب وثيق. اسمع الى البابا غريغوري الأكبر، رئيس الكنيسة الأعلى، كيف ينحو باللائمة المرة، والتفريع اللاذع، على وجل من رجال الدين، وشي به اليه انه يصرف شطرا من زمنه في قراءة الآداب القديمة فيقول:

الذبة والاعتراب اى الزوج عن الوطن والأهل والأحباب. وعمل الماحظ تطير العرب من الغراب في كتاب الحيوان بقوله: وأصل التطير انما كان من الطير اذا مر بارحاً أو سائحاً، اى عن اليمين او عن اليسار، وراه المتطير يتقل أو ينتف ثم صاروا اذا غابوا الأعور من الناس أو البهائم أو الأعصب أو الأبر زجروا عند ذلك وتطيروا كما تطيروا من الطير، فكان زجر الطير هو الاصل استقروا منه التطير، ثم استعملوا ذلك في كل شيء. والغراب لسواده ان كان اسود، ولاختلاف لونه ان كان ابيض، ولانه غريب يقطع اليهم، ولانه لا يوجد في موضع خيامهم يتقم الا عند مبايتهم لمساكنهم ومزايتهم لدورهم، ولانه ليس من شيء من الطير اشد على ذوات الدبر من ابهم من الغربان، ولانه حديد البصر قالوا عند خوفهم من عيبه الأعور، كما قالوا غراب لأغترابه وغراب اى لانه عند يذوتهم يوجد في دورهم.

وقال ولايمان العرب بباب الطيرة عقدوا الرثائم وعشروا (أى نهقوا عشر مرات) اذا دخلوا القرى تشير الحمار. والغراب اكثر من جميع ما يطير به في باب الشؤم. لكنهم لم يكونوا في ذلك سواء، بل نفي بعضهم التطير قال سلامة بن جندل: ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم وقال غيره:

يا أيها المزمع ثم انثى لا يثلك الحادى ولا الشاحج
بيننا القتي يسعى ويسعى له تاح له من أمره ذائع
(يقع) ابراهيم نادرس يشاى

المجلة الجديدة

لصاحبها ومحررها محمد موسى

تصدر في اول كل شهر في ١٢٨ أو ١٤٤ صفحة كبيرة حاوية لآراء المجددين في العالم المتمدن في الاجتماع والادب والعلم. قيمة اشتراكها في مصر والسودان ٤٠ قرشا في العام وفي الخارج ١٢ شلن. وهي تهدي الى مشتركيها ثلاثة كتب. وقد صدر منها عددا نوفمبر وديسمبر

١٢ شارع نوبار. مصر